سينما

«سُعاد» للمصرية آيتن أمين
سلاسة سينمائيّة تكشف عورات ومخاوف

يسرد فيلم جديد للمصرية آيتن أمين حكاية شابة تتعرّض لأزمات ومشاكل مختلفة، في بيئة متشدّدة اجتماعياً وحيا تياً، وبلغة سينمائية بسيطة

نديم جرجوره

يحضر الرجل، في «سُعاد» (إنتاج مشترك بين مصر وتونس وألمانيا، 2021، 96 دقيقة)، للمصرية آيتن أمين، وإنْ يكنْ حضوره قليلاً للغاية. يظهر كأب، ثم كحبيب. هذا كافٍ، رغم أنّ لحضوره وقعًا أكبر وأعنف، وإنْ بشكلٍ موارب. لا سلطة ذكورية ظاهرة ومباشرة. لا تعنيف ولا قمع. القسوة تظهر في فشل علاقة حبّ، أو في عزلةٍ، أو في ضغطٍ حادٍ في الاجتماع والانفعال، وفي علاقات قائمة في عائلة أو بين شابات، تحاول كلّ واحدةٍ منها أنْ تعيش وتعشق وتتحدّى وتبوح، بصمت أو حركة أو ملمح أو فعل، والفعل قاس.

تريد سعاد (بسنت أحمد) متنفّساً، فكلّ شيء حولها يضيق إلى حدّ الاختناق. لن يظهر الضيق عليها، ففي وجهها ابتسامة ومرح وهدوء. هذا ستارٌ يكشف، لاحقاً، عن نقيضٍ كبيرٍ للابتسامة والمرح والهدوء. هناك فَشَلٌ تُعانيه، رغم محاولتها التغلّب عليه. ملاحقة الكاميرا (مجد نادر) لها أقرب إلى توثيقٍ سينمائيّ ليومياتها وتفاصيل عيشها وانفعالاتها وتفكيرها. كأنّ الكاميرا مكتفية بمرافقتها، وإنْ تخترق أحياناً بعض ذاتها وروحها، بالتقاط ملامح منها، ونبض لها، وتصرّفات تسم حضورها وموقعها وسلوكها.

لا ادّعاءات ولا تصنّع ولا مكابرة. البساطة سمة أساسية، تكاد توحي بأنْ لا شيء عميقاً ولا شيء مفيداً ولا شيء يُحرِّض على شيء. بساطة تحتمل، مع توغّل النصّ (آيتن أمين ومحمود عزت) في الهوامش الكثيرة، إذْ يبدو «سُعاد» غير معنيّ أو غير مكترثٍ أو غير مهموم بمتنٍ وأساس، فالهوامش تُحفِّز الكتابة على تبيان ما تبغيه أمين من سرد حكاية شابّة، اسمها سعاد. كأنّ أمين غير راغبةٍ في أكثر من تصوير دقيق لتفاصيل وزوايا وحالاتٍ، وهذا كافٍ لها لصُنع فيلم، يمتلك شفافية وصدقاً وعفوية، تجعله مرايا شفّافة وقاسية في انعكاس عنف الحياة والخوف والقلاقل في ذاتٍ وروح وجسدٍ.

كأنّ أمين تتآمر، سينمائياً، مع الكاميرا، فتمنحها حرية تحرّك في الاتجاهات كلّها لاقتناص كلّ تفصيل، قبل غربلة التفاصيل في توليفٍ (خالد مؤيّد) يُنتج فيلماً يُناقش عيشاً بصُور مستلّة من وقائع حيّة، من دون أي تلميحٍ إلى كون القصّة واقعية أو حقيقية. مع هذا، تبدو المتتاليات السردية كأنّها مقتبسة من واقعٍ وحقائق، فأحوال سعاد وانفعالاتها، وأحوال قريباتٍ لها ومقرّبات منها وانفعالاتهنّ، شبيهةٌ بوقائع جمّة، تقتنصها أمين سينمائياً، فتُنجز «سُعاد» كصائغٍ يحترف المواربة والاحتيال، قبل إنجاز تُحفته.

التُحفة هنا تعني جوهر فيلمٍ بسيطٍ، يرتكز أساساً على تلك الهوامش والزّوايا، المصاغة بصرياً بشفافية وجمالية محبّبتين. اللقطات المقرّبة تدخل عوالم منغلقة على نفسها في ذات سعاد وروحها ومسارها، وفي علاقاتها بآخرين وأخريات، في منزل العائلة وخارجه. البيئة، مكاناً واجتماعاً ونمط حياة، غير مُطالبة بكشفٍ مباشر عن موقعها واسمها، فالعالم الذي يشهد يوميات سُعاد (19 عاماً) يتوزّع على باص وشرفة منزل وبعض غرفه وأمكنته الضيّقة، وعلى هاتفٍ ذكيّ يمنحها مَخرَجاً/ مدخلاً إلى وسائل تواصل اجتماعي. المرآة وسيلة تمنحها قدرة على اختبار علاقتها بجسدها، أو ربما اختبار جسدها وانفلاشه على صُور ثابتةٍ، يُراد لها أنْ تكون روح الشابّة ورغباتها المدفونة.

> فيلم بسيط يرتكز على هوامش وزوايا في سير حياتية عدّة

شقيقة سُعاد تصغرها بأعوام قليلة. رباب (بسملة الغايش) تتماهى بها، كأنّها تطمح إلى تحقيق حدٍّ من التشبّه بها. ففي روح سُعاد نَفَسٌ متمرّد، تسعى رباب إليه. الاجتماع ضاغط. الانفعال غير متمكّن من تلبية رغبات تعتمل في سُعاد، فتشعر رباب بها. تواصلُ افتراضي مع أحمد (حسين غانم) تراه منفذاً لها، وتكمله رباب لاحقاً، بعد تنفيذ سُعاد قراراً يُغيّر سياق الحكاية، وينفتح أكثر على مخبّأ ومُبطّن. لاحقاً، تلتقي رباب بأحمد في الإسكندرية، في لقطات متتالية تبدو كأنّها لوحاتٍ منفصلة، لكنّها تتكامل في متابعة حكاية سُعاد، في غيابها. في المدينة المتوسطية، تكشف آيتن أمين شيئاً من عالم يتناقض، كلّياً، مع عالم سُعاد، اجتماعياً واقتصادياً وحياتياً. سُعاد غائبة، ورباب تنتظر أحمد في سيارة صديقه، كي يُنهي زيارة في منزل أهل خطيبته.

بتبسيطٍ وسلاسة، تروي آيتن أمين مصائب وتخبّطات وأهوالاً تعيشها سُعاد. تبسيط يُفكّك أحوالاً مرتبطة بشاباتٍ يعشن على حافة هاوية، أو في انغلاق عزلة، رغم مظاهر تمرّد ورفض وانقلاب، تتمثّل بمَلبَس أو نبرة أو تفكيرٍ أو قولٍ أو ممارسة. أمين تُتقن تفكيك عالمٍ شبابيّ يعيش زمن تواصلٍ افتراضيّ في بيئة تتشدّد، غالباً، في التزام قواعد معيّنة لعيشٍ يومي. تبسيطٌ وسلاسة يُذكّران بـ«فيلا 69» (2013)، أول روائيّ طويل لها، بعد «راجلها» (روائي قصير، 2009) و«تحرير 2011: الطبّب والشرس والسياسي» (2011) الوثائقي المُنجز مع تامر عزّت وعمرو سلامة (لها فيه القسم الثاني: الشرس). «فيلا 69» يتشكّل بمتتاليات مشهديّة هادئة وعاديّة، قبل كشفها عمق خراب وتوتّر وتبدّلات في الفرد والبيئة والعلاقات. هذا يحضر في «الشرس» رغم وثائقيّته، فلقاءاتها رجال شرطة في مرحلة لاحقة على «ثورة 25 يناير» (2011) منبثقة من سردٍ مبسّط لحكاياتٍ تُعرّي بعض بيئة وناسها.

مع «سُعاد»، المُشارك في «بانوراما» الدورة الـ71 لـ«مهرجان برلين السينمائيّ»، المُقامة افتراضياً بين الأول والخامس من مارس/ آذار 2021، بعد اختياره رسمياً للدورة الـ73 لمهرجان «كانّ» السينمائي، قبل إلغائها بسبب كورونا. تبدو آيتن أمين، المهمومة بوضع المرأة في «راجلها» (مقتبس عن قصّة لأهداف سويف) من دون أيّ خطاب نسوي، كأنّها تخطو خطوة إضافيّة إلى جوهر السينما: سردٌ بصريّ لحكاياتٍ، تُصيب المرء في أحواله وانفعالاته وتأمّلاته، فتضعه أمام خياراتٍ، بعد عيشه اختباراتٍ وتحدّيات.

بسنت أحمد وبسملة الغيّاش:
صورة وداع (Vivid Reels، البرليناله 71)

«مهرجان مالمو للسينما العربية»
مناخٌ واقعيّ في دورة افتراضية

جديد «مهرجان مالمو للسينما العربيّة» يتمثّل بتغيير موعد دورته السنوية، وباعتماد الـ«أونلاين» وسيلة لتنظيم دورته الـ11. التغيير حاصلٌ من النصف الأول من أكتوبر/ تشرين الأول إلى النصف الأول من إبريل/ نيسان. الـ«أونلاين» مطلبٌ، فالتأجيل غير وارد، والرغبة في الاستمرار أقوى من أنْ يُعطّلها وباء، يُعطّل دورات مهرجانات أخرى، إمّا بتأجيلها أو إلغائها، وإمّا بتنظيمها افتراضياً. النصف الأول من إبريل/ نيسان ملائمٌ أكثر، فالاختيارات تتمكّن من تقليص المسافة بين تاريخ الإنتاج وموعد العرض. الـ«أونلاين» أداة، وسؤال استخدامه دائماً مرهونٌ بأحوال العالم في المقبل من الأيام، وبمآل سيفرضها كورونا، وما بعد كورونا أيضاً.

أسباب تغيير موعد تنظيم دورة جديدة لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية» غير مهمّة، فالأهمّ تنظيم دورة سنوية تُعرض فيها أفلام عربية، يغلب عليها الإنتاج الحديث، أي ذاك الحاصل قبل فترة قصيرة على موعد عروضها. لائحة أفلام المسابقة الرسمية للأفلام الروائية الطويلة مثلاً، المختارة للدورة الـ11 (6 ـ 11 إبريل/ نيسان 2021)، تعكس شيئاً أساسياً من أسباب التغيير. بعض تلك الأفلام مُشاركٌ في مهرجانات دولية، تشهد عروضها الدولية الأولى قبل أشهر قليلة، وتفوز بجوائز. التمنّي بعرضها وأقعياً أمام مُشاهدين عرب وأجانب في مالمو السويدية حاضرٌ، لكنّ كورونا يفرض الـ«أونلاين»، وهذا مقبولٌ في زمن ارتباكاتٍ جمّة.

باستثناء هذين الأمرين، لا جديد يُذكر. عروض أفلام، ومشاريع مُقدَّمة للحصول على منح في مراحل إنتاجية مختلفة. هذا جزءٌ من المهرجان. الإضافة، المرافقة للجديد، على الأقلّ. التنويع حاضرٌ في حكاياتها ومشاغلها ومناخاتها. الأفلام الروائية القصيرة، بدورها، حديثة الإنتاج. عروضها موزّعة على 3 مجموعات، تضمّ كلّ واحدة منها 6 أفلام، باستثناء واحدة تضمّ 5. في برنامج «ليال عربيّة»، هناك 3 أفلام (إنتاج عام 2020 أيضاً): «قِلّتلّكْ خلص» (لبنان) لإيلي خليفة، و«40 عاماً وليلة» (السعودية) لمحمد الهليل، و«أفلامهنّ» (إنتاج مشترك بين الأردن ومصر ولبنان وتونس والمغرب) للأردنيّة ميسون خالد والمغربية ريم مجدي والتونسية آمنة نجار واللبنانية فرح الشاعر والمصرية تغريد أبو الحسن.

الفيلم الجماعي «أفلامهنّ» يروي حكايات 5 نساء، منتميات إلى عوالم مختلفة، لكنهنّ يواجهن تحدّيات ومصاعب متشابهة: اضطهاد، ظلم اجتماعي، عدم مساواة، تحيّز، عنف. التعريف بالفيلم يقول إنهنّ يحتجن إلى أقصى درجات التحمّل والتصميم على البقاء «على قيد الحياة». كلّ واحدة منهنّ تبحث عن قوّة فيها للتغلّب على كلّ شيء. الفيلم السعودي يرتكز على لقاء عائليّ بين 5 أشقاء وعائلاتهم في عيد الفطر. يتعرّض الوالد لحادث سير، فتبدأ رحلة كلّ واحد منهم في ذاته وذكرياته وأحواله. إيلي خليفة يختبر تجربة سينمائية توحي بأنّ المخرج يترك كاميرته تتجوّل مع شخصياتٍ تلتقي وتتباعد، وتروي حكاياتٍ وتُعبّر عن مشاعر، علماً أنّ خليفة يؤدّي الشخصية الأساسية للحبكة والمسار والمناخ والهوامش.

تجربة ثانية لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية» في زمن كورونا. تجربة تنتظر الدورة الـ 11. الاختبار مطلبٌ، ونتائجه رهنٌ بكيفية تعامله مع راهنٍ، موغل في ارتباكاتٍ ومطبّات جمّة.

نديم...

فرح الشاعر المُشاركة في تحقيق «افلامهنّ» (عمّار عبد ربّه/ فرانس برس)

> دورة جديدة في زمن كورونا ومطالب تقنية ضرورية

تتمثّل باعتماد تطبيق «زوم» في لقاءات مباشرة مع صانعي الأفلام. إدارة المهرجان راغبةٌ في إضفاء مناخٍ واقعي، قدر المستطاع، على دورة افتراضية.

12 فيلماً روائياً طويلاً، في مسابقة الدورة الجديدة هذه، مُنتجة كلّها عام 2020. هذا مُفيد لمهرجانٍ، يُفترض به أنْ يواكب أحدث الإنتاجات العربية، فيختار بعضها،

أفلام جديدة

■ To All The Boys: Always And Forever، Lara Jean لمايكل فيموغْناري، تمثيل لانا كوندور (الصورة)، ونواه سانتينِيو: بعد رحلة إلى كوريا الجنوبية، رفقة عائلتها، تمضي لارا جين أيامها الأخيرة في الكلّية، مع أصدقاء وصديقات لها، ومع بيتر أيضاً. لكنّ تساؤلات جمّة تطرحها على نفسها، أبرزها يتعلّق بمستقبلها: أي جامعة ستختار؟ وخصوصاً: أي مستقبل لها ولبيتر معاً؟

■ The Yin-Yang Master: Dream Of Eternity لجينغمينغ غيو، تمثيل وانغ زيوان (الصورة)، ومارك تشاو وآلن دينغ: عندما يستيقظ ثعبان شيطانيّ من «غفوته»، بعد سنين طويلة على غيابه، يجد كبار قوم «بِنْ . يانغ» أنفسهم أمام اختبار صعب، إذْ عليهم التحقيق في جريمة قتل غامضة، وفي الوقت نفسه عليهم حماية ممالكهم من مؤامرة تُحاك ضدهم في المدينة الإمبراطورية. مزيجٌ بين الأسطوري والواقعي في فيلمٍ ينتمي إلى التشويق.

■ Bliss لمايك كاهيل، تمثيل سلمى حايك (الصورة)، وأوين ويلسن: بعد طلاقه بوقتٍ قليل، يلتقي غريغ بايزابيل، المرأة الحيوية التي تعتبر أنّ العالم الوسخ حولها غير حقيقيّ، والمقتنعة بأنّها تعيش في هذا الوضع السلبي داخل عالمٍ حقيقي آخر، «جميل ومسالم». يُشكّك غريغ بتفكيرها، لكنّه لاحقاً سيقتنع بما تقوله وتعيشه. فهل صحيح أنّها على حقّ، أم أنّ الحبّ سيدفعه إلى الموافقة على ما تقوله وتقتنع به؟

■ The Twentieth Century لماتيو رانكن، تمثيل كاترين سان لوران (الصورة)، ودان بايرن ولوي نيجين: اقتباس حر لسيرة ويليام ليون ماكنزي كينغ، رئيس وزراء الكومنولث الأطول مدّة في منصبه. الفيلم يروي حكاية شاب يُدعى ماكنزي كينغ يحلم بأن يصير رئيساً لوزراء كندا، مطلع القرن الـ20. لكن حلمه هذا يتعرّض لتناقضات جمّة بين أناسٍ محيطين به، يتنازعون في ما بينهم لانتزاعه.

■ Audrey، فيلمُ وثائقيّ لإيلينا كُوَان، عن الممثلة البريطانية أودري هيبورن (الصورة)، يروي فصولاً من سيرتها الحياتية، واشتغالاتها الفنية، بدءاً من المشاكل والاضطرابات المختلفة التي عانت من تداعياتها وهي طفلة صغيرة، مولودة في «إيكسل» (بلجيكا)، عام 1929، (توفيت عام 1993)، خصوصاً مع «تحطّم حلمها في أنْ تُصبح راقصة محترفة»، كما في الفيلم. مسائل كثيرة يرويها الفيلم، بلغة مبسّطة وسلسة.